حادثة مقتل الملازم واينبرونر 1881
أسبابها وتداعياتها
دراسة من خلال وثائق الأرشيف الفرنسي

أ/ بوعناني العربي، جامعة تلمسان
larbihis16@gmail.com

الملخص:

تتناول الدراسة حادثة مقتل الملازم واينبرون، والتي كانت نتيجة طبيعية للسياسة الفرنسية المنتهجة ضد الجزائريين الذين عانوا كثيرا من الممارسات المشينة والصادرة عن المكاتب العربية، وتسليط الضوء على التغييرات التي أحدثتها فرنسا لما حاولت تفكيك قبيلة الأحرار التي كانت تتميز بقوة عدد أفرادها، وما كان يمثله زعيمها الحاج قدور بن صحراوي من قوة ونفوذ داخل قبيلة الأحرار الشراقة .ومن جهة أخرى إن عملية إعتقال بعض الزعامات المحلية التي رأت فيها فرنسا خطرا على استقرار المنطقة، كانت لها ردة فعل قوية أدت إلى مقتل الملازم وينبرونر، وتسببت في إشتعال ثورة بوعمامة الذي كان يعمل في الخفاء لتحريض القبائل الواقعة في الجنوب الغربي على الثورة، والذي إستفاد من هذا الحادث لكي يوجه دعوته مذكرا القبائل بأن الوقت قد حان لحمل السلاح لمواجهة العدوان الفرنسي الذي يحتل الأرض ويغتصب العرض ويجبر الناس على الخضوع والإستسلام، كما كانت هذه الأحداث مناسبة لقبائل تيارت والتي لم تفوت الفرصة بالمشاركة فيها، وقيام زعيمها الحاج قدور بن صحراوي بدعم ثورة بوعمامة الذي إعتقلته السلطات الفرنسية .

الكلمات المفتاحية: وينبرونر، قبيلة الأحرار، ثورة بوعمامة، العدوان الفرنسي، الزعامات المحلية.

Abstract: The study examines the incident of the murder of Lieutenant Wainbruner, which was a natural result of the French policy against the Algerians who suffered a lot from the disgraceful practices of the Arab offices and highlights the changes that France made when it tried to dismantle the Al Ahrar tribe known by its strength in the number of its members and its leader Hadj Kaddour Ben Sahraoui represents in power and influence within the Al Ahrar Alsharaqah. On the other hand, the process of arresting some of the local leaders, which France saw as a threat to the stability of the region, had a strong reaction led to the death of Lieutenant Winbrunner, and caused the start of Bouamama's revolution who used to work in secret to incite the tribes in the south-west to the revolution, and took advantage of this incident to direct his call to remind the tribes that the time has come to take up arms to confront the French aggression that occupies the land and usurp the honor and force people to surrender and to be dependent. The tribes of Tiaret, which did not miss the opportunity to participate in it, and its leader Hajji Kaddour bin Sahraoui supported revolution Bouamama who was arrested by the French authorities.

Keywords: Winbunner, Tribe of the Liberals, Revolution Bouamama, French Aggression, Local Leaders.

التعريف بوثائق الأرشيف الفرنسي:

ما يهمنا في هذه الدراسة هو الكشف عن ملابسات وتداعيات مقتل الملازم وينبرونر وعلاقة ذلك بإنفجارة ثورة بوعمامة في ربيع1881، ومشاركة قبائل الأحرار الشراقة فيها بزعامة الحاج قدور بن صحراوي .معتمدين في ذلك على المعلومات الواردة في العلبة 7H24 -

و30H78.المودعتان بأرشيف ما وراء البحر بمدينة آكس – أون– بروفانس بفرنسا، وتتضمن العلباتان تقارير متنوعة كانت ترفع في مناسبات مختلفة إلى المصالح الإدارية في إطار جمع المعلومات الضرورية عن زاوية بوعمامة التي كان يتردد عليها كثير من أتباعه وأنصاره

وعلاقاته وتحركاته . ومن هذه التقارير ماكان منها سريا، وهي تخص مراقبة الزعامات والقيادات النافذة التي كانت على علاقة ببوعمامة . وعن أسباب إغتيال الملازم واينبرونر وإنعكاساتها على سير الأحداث في كل من البيض وتيارت، كما تشير الوثائق إلى إنخراط زعامات آهلية تنتمي لقبيلة أولاد حدو و التي هي فرع من قبيلة الأحرار الشراقة، والتي يبدو أنها قامت بتحركات مكثفة لتحريض القبائل المجاورة لها على الإنضمام لثورة بوعمامة، وكانت وقتها السلطات الفرنسية على علم بذلك من خلال جواسيسها، الذين كانوا ينشطون في المنطقة .

وإشكالية هذا البحث الذي سنخصصه لحادثة مقتل الملازم وينبرونر، تتركز على مدى نجاح أتباع بوعمامة في قتل الضابط وينبرونر، وتداعيات ذلك على تفجير الثورة التي عمت قطاع الجنوب الوهراني، وماهي هي ردود الفعل المترتبة عن ذلك ؟

ظروف وملابسات مقتل الضابط وينبرونر (Weinbrenner):

لابد من التذكير بأن ثورة بوعمامة قد شهدت تحضيرات تعود إلى نهاية عقد السبعينات، بعد أن إزدادت إدارة الجمهورية الثالثة الفرنسية غطرسة وكشفت عن وجهها البشع المغلف بالحكم المدني، الذي يعتبر أسوء من الحكم العسكري في عهد نابليون الثالث ضف إلى ذلك إصدار قانون سينات وس كونسيلت 1863الرامي إلى نزع ملكية العرش والتي كان الهدف منها تسهيل عملية إنتقال الأرض من الفلاحين الجزائريين إلى الفرنسيين لشرائها.

ومن جهة أخرى حاولت فرنسا أن يكون لها حضورا عسكريا في منطقة عين الصفراء فقامت بإنشاء مركزا للمراقبة بهما حامية فرنسية في(تيوت وصفيصيفة) ليكونا ملحقين ب(قطاع سبدو العسكري)، مما أثار غضبا لدى أهالي المنطقة، الذين تخوفوا من هذا التواجد

العسكري لفرنسا والذي سيحد من تحركاتهم، ويضعهم تحت سلطة الجيش الفرنسي مباشرة خاصة بعد إقدام الجنرال (Délbéque) في نوفمبر 1881على إتخاذ عين الصفراء مقرا لقيادته (Mesnier.1914 :46) .

ومن أبرز العوامل التي دفعت بوعمامة إلى مقاومة الإستعمار، هو تراجع نفوذ الأسرة الديني الذي تضاءل وتقلص ظله، خصوصا بعدما تولى رؤساء الأسرة المناصب الحكومية بعد الإحتلال الفرنسي، فيحينئذ قام بوعمامة بنشاطات في المجال العقائدي، من بينها إعطاء تعليمات إلى أتباعه وأنصاره، متخذا من الطريقة السنوسية نموذجا في مقاومة الإستعمار الفرنسي، خاصة أن الحركة السنوسية كانت في تلك الفترة في مرحلة إنتشارسريع في ليبيا المتاخمة للجزائر وتونس، تمثل عقبة أمام تمدد المشروع الإستعماري في المنطقة (المولدي الأحمر .2009: 181)، ومن جهة أخرى فرض منطق الإحتلال على المستعمر أن يوجه إهتمامه نحو أسس المقاومة التي وقفت في وجهه، فبرزت الطرق الصوفية، بوصفها شبكات إتصال وتبادل ومؤسسات حشد للطاقات والنفوذ لمواجهة المشروع الإستعماري الأوربي الذي أخذ يعمل على إخضاع المنطقة بإستخدام كافة وسائل العنف لتحقيق أهدافه الإستراتيجية .

لقد تمكن بوعمامة من سنة 1875من تأسيس زاوية دينية بمغرار التحتاني بالقرب من مدينة عين الصفراء و Henry 184 :1884 paris de B.S.G.A. in) (: 1883. douveyrieوكان له نفوذ قوي في الأوساط الشعبية ولقي الكثير من الإحترام والتقديرمن طرف الزعامات القبلية والدينية، مما جعل الإدارة الإستعمارية تتوجس خيفة منه، وإستشعار الخطر، خاصة وأن إنتفاضة أولاد سيدي الشيخ كان حاضرا بقوة . ولذلك قامت فرنسا بإتخاذ إجراءات إحترازية منها مراقبة الوضع العام عن كثب، حيث أرسل القائد الأعلى لمنطقة وهران سرية من الفرسان بقيادة الملازم كاستري (Castries) التي توجهت على الفور إلى زاوية بوعمامة، التي حظيت بإستقبال وترحاب من طرف المرابط، لكن الضابط كاستري أدرك حينها قوة التأثيرالتي كان يتمتع بها بوعمامة داخل الأوساط الشعبية، فتراجع عن قراره القاضي بتوقيف بوعمامة (E.Graulle 1905 :11,12)، وحاولت فرنسا كبح

نفوذه من خلال بث عدد من الجواسيس لمراقبة تحركاته، لكن عدد أتباعه تضاعف مع نهاية 1880.

وفي آواخرشهر جانفي 1881 قام بوعمامة بإرسال مبعوثيه إلى كافة القبائل، يدعوهم للتعبئة والإستعداد للثورة وجمع المؤن والسلاح والذخيرة، وكانت قبيلة الأحرار الشراقة في مخيمها الشتوي تستقبل بإنتظام مبعوثي بوعمامة، وخاصة قبيلة الشاوية، أولاد زيان الشراقة وقبيلة أولاد حدو (A.N.O.M.7H24).إضافة إلى قبائل الطرافي ورزاينة، وقد وجدت هذه الدعوة صداها لدى قبائل عمور وحميان والشعانبة، وإستجابة أولاد سيدي الشيخ الغرابة بإرسال المدد لمؤازرة الثورة، وكانت مساهمة قبيلة الأحرار تتمثل في توفير 160بين فارس ومشاة . (إبراهيم مياسي . :278) .

وبالرغم من ذلك لم يقم الحاج قدور بن صحراوي زعيم قبلية الأحرار بإطلاع الجهات الفرنسية المسؤولة عن تحركات مقاديم بوعمامة، في حين تمكن الباش الآغا سي أحمد ولد قاضي من خلال جواسيسه أن يحصل على معلومات تفيد بأن بوعمامة يستعد لتزعم الثورة في جنوب القطاع الوهراني، فأسرع إلى إبلاغ السلطات الفرنسية عن تحركات مبعوثيه في المنطقة (A.N.O.M.7H24).وبتاريخ 8أفريل 1881أبلغ القائد الأعلى للقطاع الوهراني الحاكم الأعلى لتيارت بمايلي :" لقد بلغني أن قبائل الجنوب على إتصال مع بوعمامة بواسطة مبعوثيه الذين أجروا إتصالات مكثفة مع الزعامات المحلية، وأن الطيب بن الجرماني من قبيلة أولاد زياد موجود عند قبيلة الأحرار الشراقة، الرجاء منكم مضاعفة الحراسة، وإرسال الجواسيس إلى عين المكان للتحقق مما يحدث هناك" (A.N.O.M.7H24)

وبتاريخ 10أفريل ذكر القائد الأعلى لتيارت الجهات المسؤولة بمايلي :" يجب مضاعفة الحراسة، وأن تتحلوا باليقظة وأن تهتموا بتحركات بوعمامة ومخبريه ".وظلت القيادة العليا في القطاع الوهراني منشغلة بمايحدث في الجنوب، وعلى إتصال مستمر بالقيادة العسكرية في تيارت .لكن زعيم قبيلة الأحرار يبدو أنه كان غير مبالي بما يحدث حسب ما

جاء في التقرير، والأكثر من ذلك أن الطيب الجرماني كان يتحرك بكا حرية مع آخرين من دوار إلى دوار، أمام مسمع ومرآى من الحاج قدور بن صحراوي (A.N.O.M.7H24) .

ولما جاء الحاج قدور بن صحراوي إلى تيارت للعلاج سأله القائد الأعلى لتيارت عن الأوضاع الآمنية والسياسية في منطقة تيارت، فأجابه بأنها على أحسن مايرام وأردف قائلا:" إن ماتسمعه ماهو إلا إشاعات يرددها بعض المغرضين ".(A.N.O.M.7H24)

ولكي يتحقق الحاكم الأعلى لتيارت من هذه الإشاعات كمايراد لها، أمر يوم 17 أفريل النقيب باريس (Parés)مساعد رئيس المكتب العربي لتيارت، وكانت التعليمات الصادرة إليه تقضي بجمع المعلومات وتقصي الحقائق، خاصة فيما يتعلق بوجود مبعوثين لبوعمامة، لأن ماقدمه الحاج قدوروإبنه من تفسيرات مبهمة حول الوضع الأمني لايمكن الأخذ بها. (A.N.O.M.7H24)

وفي 19أفريل عاد الآغا الحاج قدور إلى مكان إقامته، وغير بعيد عنه كان هناك 2من مبعوثي بوعمامة يقومان بتحريض القبائل على الثورة، وبالرغم من الأوامر الصارمة الصادرة إليه من السلطات الفرنسية، لم يقم الحاج قدور بتوقيفهم(A.N.O.M.7H24) ممأأعطى إنطباعا على تآمره ضد فرنسا، الأمر الذي دفع بالقائد الأعلى لتيارت إلى إرسال برقية بتاريخ 19أفريل يعلمه فيها أن أحد مبعوثي بوعمامة وهو بلقاسم بلزغم موجود عند الأحرارالشراقة والمطلوب منك توقيفه فورا (A.N.O.M.7H24).

وفي 20أفريل أمر القائد الأعلى لتيارت الآغا بن صحراوي بتوقيف المقدم الطيب الجرماني الذي كان موجودا عند الأحرارالغرابة فأجابه بأنه يقوم بمجرد زيارات إعتيادية لقبيلة أولاد حدو، وأولاد لعرج (أولاد زيان الشراقة) ويزور أيضا الحاج حمزة والحاج النعيمي (الشاوية). (A.N.O.M.7H24).

ثم أخذت البرقيات تتهاطل من السلطات الفرنسية، التي يبدو أنها متأكدة من هذه التحركات لشخصيات لها علاقة ببوعمامة، فوجه حاكم معسكر رسالة إلى حاكم تيارت يطلب

فيها منه البحث عن الطيب الجرماني وأنه على علم بأنه موجود عند أولاد حدو وفي خيمة الحاج قدور ولد بغداد ولد قدور بلزرق أخ القايد (A.N.O.M.7H24).

وفي 22أفريل توجه الملازم الفرنسي(Weinbrenner)ضابط المكتب العربي للبيض رفقة 4من الصباحية إلى واد الحجل لتوقيف 2من قادة الدوارالدين بن محمد ودحمان بن الشيخ اللذان كانا يخيمان غرب بوزلي و الطيب الجرماني و بلقاسم ولد لزغم مستعملا القوة بحجة تطبيق القانون(A.N.O.M.30H78)، وعند وصوله كان في إستقباله الدين بن محمد من الجرامنة الذي صدر في حقه أمرا بتوقيفه، فدعاه إلى النزول من على ظهر الحصان لأخذ قسط من الراحة وتناول وجبة خفيفة ، وبهذا يكون الدين بن محمد قد نصب كمينا لهذا الضابط، الذي تم إغتياله مع 2 من حراسه في نفس اليوم Guy de) Maupassant . 1902 :p47.)، وآسرمرافقه الضابط لخضر ولد بن عوفية من طرف الجرامنة، وجرح أخ الشيخ بن بوسماحة قايد أولاد زياد الشراقة .وفي الليلة التالية عسكر النقيب باريس(Parés) في عسكورة جنوب فرندة في وسط قبيلة أولاد حدوالتي أعلن زعماؤها الإنضمام إلى الثورة، وخشيت حينها السلطات الفرنسية أن يلقى هذا الضابط حتفه على يد هؤلاء المتطرفين على حد تعبيرها .فخشي الآغا الحاج قدور أن يتهم بوقوفه إلى جانب الجرامنة في مقتل الضابط الفرنسي، فإغتنم فرصة وجود النقيب (Parés) عند أولاد حدو، وبعث بفرسانه الأوفياء لإحضارهذا الضابط وإنقاذه من الموت (A.N.O.M.7H24). لكي يظهرحسن نيته وإخلاصه لفرنسا .ويبعد عن نفسه الإتهامات التي أصبحت تحوم حول علاقاته السرية مع بوعمامة .

2- تداعياتها

وبعد أن قتل الجرامنة الضابط الفرنسي وجماعة من مرافقيه عند بداية ظهور الإضطرابات عوضا أن يتجهوا نحوالجنوب أو الغرب، فضلوا الإتجاه نحو الشمال للإلتحاق بقبيلة الأحرار الشراقة (Commandant P –Wachi .1901 :p5) عن طريق خنق السوق ولما وصلوا تلقوا رسالة من بلزرق قايد الأحرارموجهة لقبيلة أولاد زياد يدعوهم فيها

بالإنتظارهنا، حيث أن قبيلة الأحرارعلى أهبة الإستعداد للإنخراط في الثورة، (A.N.O.M.30H78)' وطلبوا من الآغا الحاج قدورأن يرافقهم للإتصال ببوعمامة، لكن الآغا أخفى عنهم توجهه الثوري خوفا من أن ينكشف أمره ورفض طلبهم .ثم إنسحب فورا ناحية الشمال بإتجاه تيارت (E.Graulle 1905: 32) ، بإستثناء قبيلة أولاد حدو التي إنضمت إلى الثورة .وقام الحاج قدور بنصب الخيام بين الوسخ (عين الذهب حاليا والزبارة، حيث كانت لديه شكوك في تصرفات بعض أتباعه الذين كان لديهم إستعداد للإنخراط في الثورة، وعند قدوم الليل عقدوا إجتماعا أفضى إلى معارضة البعض منهم دعم ثورة بوعمامة في حين صممت جماعة أخرى على الإنضمام إليها.(A.N.O.M.7H24) .

وإلتحق قايد أولاد حدو رفقة 5أو 6من عائلته بالجرامنة، كما قامت شخصيات أخرى ذات نفوذ واسع داخل قبيلة الأحرار بإجراء إتصالات مع قبيلة الترافي، في حين حاولت جماعة أخرى منهم منع تحرك قبيلة الأحراربقيادة الآغا الحاج قدور، فتدخلت القوات الفرنسية وقامت بتوقيف 16عنصرا منهم، وأجرت تحقيقات معمقة معهم إنتهت بإطلاق صراح إثنين منهم و نقلت ستة عناصرأخرى إلى فرنسا ووضعتهم في سجونها . (A.N.O.M.7H24) .

وحاول الحاج قدور إستثمارهذه الأحداث وتوظيفها لإسترجاع هيبته، وترك رياح الثورة تتطور داخل قبيلة الأحرارحتى يحصل على الدعم الكافي للإنخراط فيها على ما يبدو، و لم يخطرالسلطات الفرنسية بذلك. وفي هذه الأثناء قدم القايد معمر بن لقرع تقريرا عن هذه الأحداث بمشاركة أعيان الطرافي، وكلفوا عبد الرحمن الشيتوني بتبليغها للسلطات الفرنسية في البيض، حيث سلمها لرئيس المكتب العربي، وأطلعه على كافة التفاصيل التي عاينها هناك، مقابل حصوله على مبلغ من المال قدر ب500فرنك .ثم تحرك بإتجاه الأرباع في إنتظاروصول القوات الفرنسية، وفي اليوم التالي تم رصد قدوم بوعمامة من الأبيض سيدي الشيخ رفقة 50فارسا وتوقفوا بقبة سيدي عيسى، وفي نفس الوقت وصل 12مخبرا من قبيلة الأحرارقادمين من الشمال الشرقي ويعملون لصالح القوات الفرنسية، فتوجه نحوهم قوم بوعمامة وطوقهم ودار حديث بينهما . وعندما إقترب بوعمامة من منطقة التل القريبة من

فرندة، أمرالحاج قدور بن صحراوي أتباعه بإستخدام البارود وليس الرصاص الحي (A.N.O.M.7H24) وإتصل ببوعمامة وطلب منه عدم الإستيلاءعلى موكبه في حال سقوط مدينة فرندة التي كانت تمثل موقعا إستراتيجيا من الناحية العسكرية، فسقوطها يقطع خطوط الإمداد ويحرم فرنسا من الإتصال بالمناطق الجنوبية، كما أوصى الشيخ بوعمامة بعدم توجيه بنادقهم نحوقوم بن صحراوي، والتركيز على ضرب قوم الباش آغا فرندة (سي أحمد ولد قاضي)وقوم الآغا قدوربن عدة والفرنسيين .وكان يجمع المال بإستمرار لبوعمامة، ويقدم له المؤن والذخيرة والملابس، وكان ينقل المعلومات لبوعمامة بواسطة رجاله المخلصين عن تحركات القوات الفرنسية وأماكن التي كانوا يعسكرون فيها .

كانت هذه المعلومات تصل تباعا إلى المكتب العربي بالبيض عن طريق الجواسيس الذين كلفوا برصد تحركات الآغا الحاج قدور الصحراوي، وجمعت لهذا الغرض كم هائل من الوثائق التي تدين هذا الأخير في كثير من التصرفات التي ستكون كافية لإدانته ثم إعتقاله .

ومن جهة أدت حادثة مقتل الضابط وينبرونر إلى تفجير الثورة بقيادة المرابط بوعمامة الذي إغتنم فرصة غياب الجيش الفرنسي المتمركز في الجنوب الغربي من الجزائر للمشاركة في الحملة العسكرية الموجهة لإحتلال تونس في أفريل 1881فأعلن الجهاد المقدس ضد جيش الإحتلال .وكان أول لقاء بين المرابط (Agéron,Charles Robert .1968.) بوعمامة والقوات الفرنسية يوم 27أفريل 1881بموقعة سفيسيفة جنوب عين الصفراء أحرز فيها الثوار إنتصارات باهرة الأمر الذي دفع بالفرنسيين إلى حشد عدد كبير من القوات لمواجهة المد الثوري المتصاعد في المنطقة، فجهزت فرنسا لهذا الغرض طابورا ضخما في منطقة طافراوة وكان يتكون من القوات المسلحة التالية :

- ثلاثة كتائب من المشاة تحت قيادة الكولونيل (سويني) .
- أربع سرايا من الصف الرابع لقناصة افريقيا تحت أوامر الكولونيل (إينوسونتي).
- فصيلة مدفعية .

– المصالح الملحقة المختلفة .

ثلاث فرق تضم 450فارس من قومية سعيدة، فرندة وتيارت، تحت قيادة قدور ولدعدة والحاج قدور بن صحراوي (C.Armengaud .18.)

في حين قدر غرول قوات بوعمامة ب 1500فارس و1200من المشاة .

(C .Graulle 1905 :43)

وبتاريخ 15ماي تلقى العقيد إينوسونتي برقية من الجنرال سريز، تسمح له بالتحرك نحوالشلالة لمواجهة الثوار والإنتقام لمقتل الضابط وينبرونر(Weinbrenner)هناك Guy) de Manpassant 1902 :47)وفي اليوم التالي وصل إلى القصر ونصب معسكره لقضاءليلة به (Général Innocenti1893 :7)وفي نفس اليوم توجه بوعمامة إلى الشلالة الظهرانية وجاءت الأخبار تفيد بأن الثوارليسوا بعدين عن المخيم الفرنسي، فتشكلت على الفورفرقة من الفرسان للمراقبة ورصد تحركات جيش بوعمامة، ثم عاد الفرسان من دون رصد أي شئ يذكر، وفي يوم 19ماي رفع العقيد إنوسونتي مخيمه لمواصلة سيره نحو الشلالة، فإذا بمخبريصل بإيعاز من قايد الشلالة يطلع الجيش الفرنسي يوم 18أفريل مساءا بأن بوعمامة وأتباعه سيقومون بمهاجمة القوات الفرنسية في اليوم الموالي . Le Monde) . Illustré 1857 :422)

ولما إقترب العقيد من الثوار بدأ في تنظيم وترتيب قواته على النحو التالي (A.N.O.M.30H78) : في المقدمة تم وضع ثلاث فصائل من الجنود واحدة على اليمين والثانية على اليسار، والثالثة في الوسط، واحدة تسير تحت قيادة القايد بلحضري، والثانية تسير بأمرمن الآغا قدورولد عدة، والثالثة تحت سلطة الآغا الحاج قدور بن صحراوي ولكل واحدة منها رايتها، وخلف القوم وعلى بعد 200متر تأتي قوات العقيد إينوسونتي والتي تسير في طابورين وخلفها القافلة وهي على إمتداد طويل(A.N.O.M.7H24)[4]، ويبدو من خلال

هذا التوزيع للقوات أن الفرسان الآهالي وضعوا في المقدمة لمواجهة الثواروالإشتباك معهم، وبذلك يوفرون غطاءا بأجسادهم لحماية القادة الفرنسيين الذين وضعوا أنفسهم في الوسط وتحيط بهم القوات من كل جانب .

– معركة الشلالة 19ماي 1881:

وفي الميلوك الذي قصده إينوسونتي لنصب مخيمه فاجأهم بوعمامة بقواته فظهرجند المشاة من ناحية وادي الرتم والفرسان من ناحية الغرب فأظهر قوم الأحرار تصرفات مريبة (A.N.O.M.30H78) .وفي الحين بدأت المدفعية في إطلاق نيرانها بإتجاه الثوار، فرد مشاة بوعمامة على مصادر النيران وفي أول مواجهة سقط 13شهيدا من أولاد سيد الشيخ منهم واحد أسود . (A.N.O.M.30H78)' وكان أول من تقدم لملاقاة قبائل الترافي هم " قوم الأحرار " وتجنب كل واحد منهم التعرض للآخروقال الأحرارلقوم الترافي لانرغب في محاربتكم، ولتجنب إيذائكم قمنا بحشو بنادقنا بالبارود .ونطلب منكم أن تلاحقوناحينما ننهي إفراغ حمولة بنادقنا ونرجع إلى الوراء .فقد بيتنا الهروب (A.N.O.M.30H78) ، وهذا ماوقع بالفعل حيث لاحق الترافي قوم الأحرار وهجموا على مؤخرة القافلة البعيدة عن الطابوروقضوا على القناصة الفرنسيين الموجودين بالمؤخرة ووقعت ملحمة لايمكن وصفها. وأخذ الفرنسيون يطلقون النار في كل إتجاه، وفقد عناصر الجيش صوابهم، وفرت الجمال مذعورة من هول ماجرى، ولولا تدخل قوم الرزاينة في إعادة الجمال لا أخذت منهم القافلة بأكملها .

– نتائجها :

ما يمكن إستنتاجه هو التضارب في المصادر الفرنسية العسكرية وماورد في جريدة أطلس وهران (A.N.O.M.7H24)جريدة البرهان حول عدد القتلى والجرحى من الجانبين، حيث ذكرالنقيب (Armengaud)أن عدد قتلى الفرنسيين بلغ 75قتيلا و15جريحاو12مفقودا في حين فقد الثوار حوالي 200شهيد، بينما ذكرت جريدة الأطلس بأن العدد المعلن عنه غير صحيح وأنها تلقت معلومات من الجرحى تؤكد بأن عدد القتلى في صفوف الفرنسيين وصل

إلى 108من القتلى أما عدد الجرحى فبلغ حوالي 33، أما جريدة البرهان فذكرت في عددها 14الصادرة بتاريخ 4أوت 1881بأن الفرقة التي كانت بقيادة العقيد إينوسونتي، "قد حمل عليها بوعمامة وغنم جميع حمولتها وقتل من عساكرها نحو 100جندي وجرح نحو ذلك القدر. جريدة البرهان (A.N.O.M.30H78)

إلى جانب عدد القتلى والجرحى في صفوف الفرنسيين، أشارت البرقية رقم 280الصادرة بتاريخ 2جوان أن بوعمامة قد تمكن أثناء المعركة من آسر 150فارسا من القوم التابعين لفرنسا وبعد قضاء ليلة في الأسر، حرضهم بوعمامة على قطع صلتهم بفرنسا وإنضمامهم إلى الثورة، ثم أطلق سراحهم، وهذا يدل على عبقرية بوعمامة السياسية وتحليه بالقيم الإسلامية السمحاء عكس ماكان يروجه دعاة الإستعمارمن أن الثوارهم مجموعة من القتلة وأصحاب العنف . وفقدت قبيلة الأحرار عدد من القتلى وقام رئيس المكتب العربي للبيض بتجريد حوالي 70عنصرا من الأحرا ر على خلفية قيام البعض منهم بإخفاء عدد من الصناديق المؤن التي تم الإستيلاء عليها يوم المعركة (A.N.O.M.30H78) وقتل القايد عيسى بن محمد من قبيلة الحسينات (دير الكاف)وإنضمت قبيلة المرابطين وقبيلة أولاد زيان الغرابة إلى الثورة ورفضت قبيلة الأحرارتطبيق الأوامر الصادرة إليها من السلطات الفرنسية، وإمتنعت عن تقديم الجمال لحمل المؤن إلى العقيد إينوسونتي. (C .Graulle 1905 :43)

خاتمة: وخلاصة القول أن حادثة مقتل الملازم واينبرونر، كانت نتيجة طبيعية للسياسة الفرنسية المنتهجة ضد الجزائريين الذين عانوا كثيرا من الممارسات المشينة والصادرة عن المكاتب العربية، إضافة إلى التغييرات التي أحدثتها فرنسا لما حاولت تفكيك قبيلة الأحرار التي كانت تتميز بقوة عدد أفرادها، وما كان يمثله زعيمها الحاج قدور بن صحراوي من قوة ونفوذ داخل قبيلة الأحرار الشراقة .ومن جهة أخرى إن عملية إعتقال بعض الزعامات المحلية التي رأت فيها فرنسا خطرا على إستقرارالمنطقة، كانت لها ردة فعل قوية أدت إلى مقتل الملازم وينبرونر، وتسببت في إشتعال ثورة بوعمامة الذي كان يعمل في

الخفاء لتحريض القبائل الواقعة في الجنوب الغربي على الثورة، والذي إستفاد من هذا الحادث لكي يوجه دعوته مذكرا القبائل بأن الوقت قد حان لحمل السلاح لمواجهة العدوان الفرنسي الذي يحتل الأرض ويغتصب العرض ويجبر الناس على الخضوع والإستسلام، كما كانت هذه الأحداث مناسبة لقبائل تيارت والتي لم تفوت الفرصة بالمشاركة فيها، وقيام زعيمها الحاج قدور بن صحراوي بدعم ثورة بوعمامة الذي إعتقلته السلطات الفرنسية .

فثورة بوعمامة لايمكن عزلها عن محيطها الإسلامي، فالسلطان العثماني وجد في الحركة السنوسية خير معين في مواجهة الضغوط الداخلية والخارجية التي كان يواجهها ولا يمكن أن نتصور بأن ماكان يجري في منطقة الجوار لايصل إلى الجزائر التي كانت تخوض مقاومة شرسة ضد الإحتلال .

ومن جهة أخرى فثورة بوعمامة هي إمتداد لثورة أقاربه أولاد سيدي الشيخ، الذين حملوا لواء المقاومة في الجنوب بعد أن ضعفت في الشمال، إذ سبقهم في ذلك أحمد بن التومي المشهور ببوشوشة سنة 1869، الذي هاجم القليعة ومتليلي سنة1870ثم إنسحب وأعاد الكرة سنة 1871فهاجم ورقلة وتوقرت ووادي سوف المتاخمة للتراب الليبي .

كما قام السيد قدور بن حمزة بمهاجمة ضواحي ورقلة والقرارة بوادي ميزاب .كما هاجم أولاد سيدي الشيخ الشراقة سنة 1879 القبائل المتعاونة مع فرنسا بالقرب من قصر بريزينة وإستولوا على ألف جمل .[3]

ومما تقدم يتضح أن الظروف أصبحت مهيئة، ولم يبق أمام بوعمامة سوى العمل على إقناع الناس بمشروعه الجهادي، فزارالعديد من القبائل وتمكن من إنهاء الخصومات بينها، ونجح في جمع شمل القبائل من خلال مبعوثيه يدعوهم للتعبئة والإستعداد للثورة وجمع المؤن والسلاح والذخيرة، وذلك عن طريق مقاديم الطريقة المنتشرين عبر كل من قبائل الطرافي ورزاينة والأحرار، و وقد وجدت هذه الدعوة صداها لدى قبائل عمور وحميان والشعانبة

– قبيلة الأحرار:وتنقسم إلى قسمين:

1- لأحرار الشراقة بزعامة الحاج قدور بن صحراوي.

2- الأحرار الغرابة بزعامة سي أحمد ولد قاضي

لما إستقرت القبائل العربية في منطقة السرسو، كثرت الخلافات بينهم حول الأرض، فتم طرد الشاوية نحو الشرق بينما، فضلت قبيلة عكرمة التوجه نحو الشمال، ولم يبق في المنطقة سوى الصحاري، وأولاد سيدي خالد، الذين لم يكن في مقدورهم رد الوافدين
بالقوة ففضلوا إستقبالهم، فكانت كلمة "قرب " أي إقترب فصاروا يعرفون بالمقاربة .

وبعد أن هزم المولى إسماعيل سنة 1708، في الغابة التي تحمل إسمه في الشمال هرب بعض أتباعه، وحين وصلوا الى منطقة السرسو أين يقطن أولاد سيدي خالد، لقوا ترحيبا كبيرا منهم، ثم لم عادوا أخبروا المولى إسماعيل وحدثوه عن الإستقبال الذي حظيوا به فقال إن هؤلاء لايمكن أن يكونوا إلا أحرارا فعوض إسم المقاربة بالأحرار .

المصادروالمراجع:

(أ) :- باللغة العربية

- **إبراهيم مياسي،** الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م- 1934م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 278.

- **المولدي الأحمر،** الجذور الإجتماعية للدولة الحديثة في ليبيا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2009، بيروت لبنان ص 181.

- الحاج قدوربن صحراوي، في 1883قامت السلطات الفرنسية بإعتقاله "لعدم ولائه الكامل لها وسجنته في العلمة (سانطارنو)مع عائلته، وذلك يوم 8نوفمبر، كان الحاج قدور بن صحراوي زعيما لأولاد سيدي خالد الغرابة ,ينظر :د، أبوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1860- 1900) ج1، ط6، 2009، دار البصائر الجزائر، ص، 210.

(ب) :- باللغة الأجنبية

Archives Nationales :
Série H :Affaires indigènes .
7H24 :Chefs indigènes en Oranie .
30H78 :Correspondances politiques et diverses(1842-1869).

Ageron (Charles Robert) :les algeriens musulmans et la France 1871-1919,time 1 Paris 1968.
-Armengaud, « le Sud Oranais,Journal d'un légionnaire,treize mois de colonne pendant l'insurrection des ouled –sidi- cheikh soulevés par le marabout Boumama(18811882) »
Paris,1893,p18.
-E.Graulle, « Insurrection de Bouamama (Avril 1881) »,Paris ,Chales –rLavauzelle ,p23.
-Guy de Maupassant, « Œuvres complètes illustrées **»**,au soleil,Paris,1902,p47.
-Innocenti, « Insurrection du sud –Oranais en 1881 ,Bouamama et le Colonel Innocenti »,Paris 1893 ,P7.
Mesnier,Territoire militaire d'Ain Sefra (Sud Oranais 1906- 1912) B ,10 – 1914 P46 .
- Le Monde Illustré , « journal hebdomadaire ,25 année,n°1265 ,25juin 1881 » ,p422.
-P -Wachi, « Notes,itinéraires et souvenirs,pour servire a l'histoire de la province d'oran,Insurrection de Bouamama(1881-1882) »In RevueTunisienne,1901,p5 .